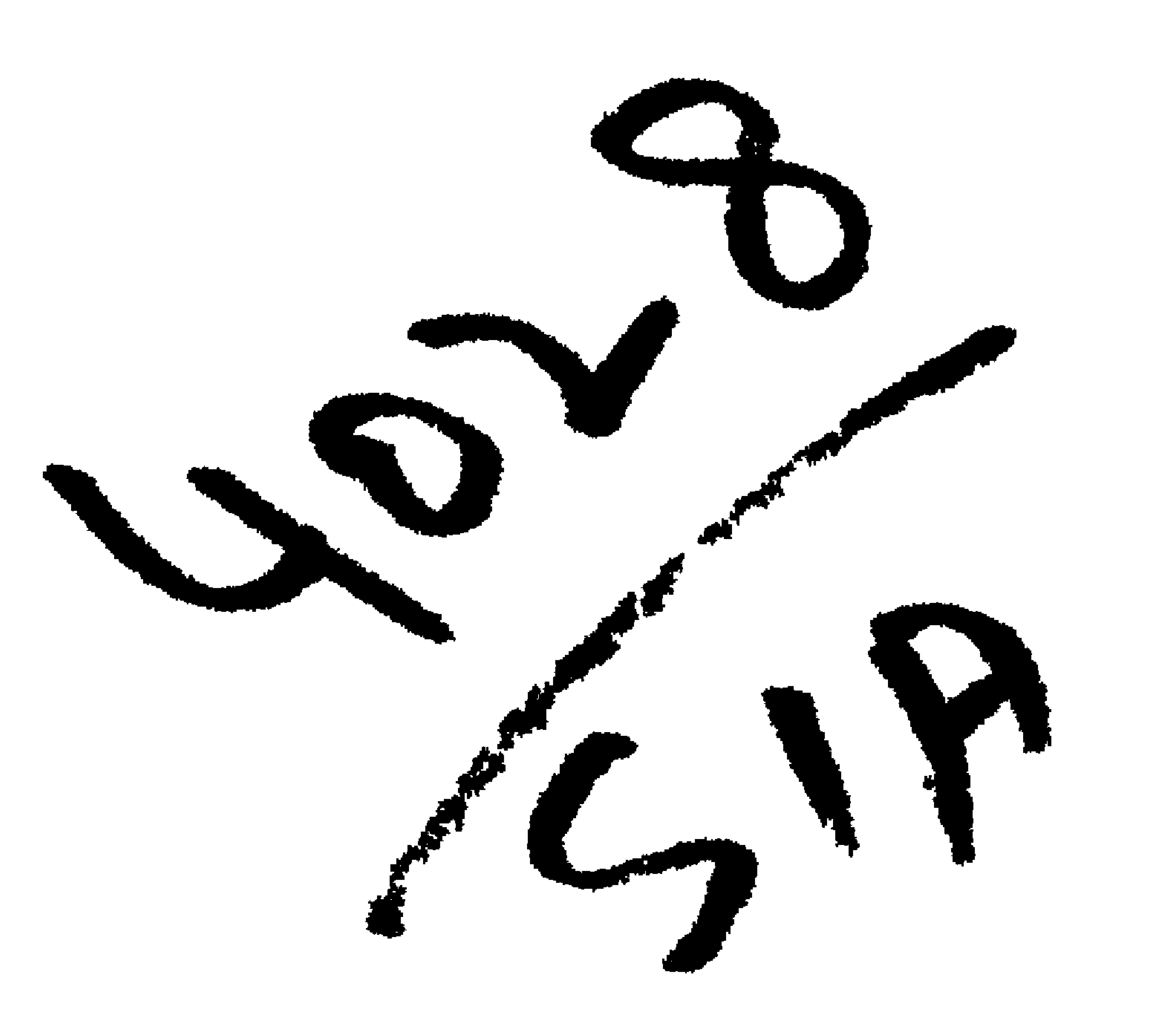

4028
S1A

لماذا أنا مسلم ؟ !

قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة
سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله
ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا
بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا
فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون
« قرآن كريم »

بقلم
عبد المتعال الصعيدى
المدرس بكلية اللغة العربية من كليات الجامع الأزهر

الطبعة الأولى سنة ١٣٥٢ هـ — ١٩٣٤ م

يطلب من
المكتبة المحمودية التجارية بميدان الجامع الأزهر بمصر
لصاحبها : محمود على صبيح

المطبعة المحمودية التجارية بالأزهر بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

وإن من شيء إلا يسبح بحمده ويسلم له وجهه فاذا قال المسلم أسلمت وجهى لله وحده شاركته فى ذلك الكواكب فى أفلاكها، والمياه فى أنهارها، والحقول في خضرتها، والأشجار فى رياضها، والطيور فى تغريدها، وكل شيء فى السموات والأرض من جماد ونبات وحيوان وإنسان:

ولله فى كل تحريكة وتسكينة فى الورى شاهد
وفى كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

وهى فى هذا لا تعرف عيسى كلمة الله. ولا آدم الذى خلق مثله من غير أب، ولا موسى، الذى كلمه الله من الشجرة. ولا إبراهيم خليله، ولا محمداً خاتم أنبيائه ورسله ولا ملائكته المقربين، ولا احدا من خلقه أجمعين

فاذا أشرك النصرانى فى ذلك عيسى عليه السلام وأشرك البرهمى برهما. والبوذى بوذا. لم نطاوعه فى ذلك السموات وما فيها من شموس ونجوم وأقمار، والأرض

وما تقل من جبال راسيات، وبحار زاخرات وأنهار جاريات، وأشجار عاليات، وزروع مثمرات، فكل ذلك يسبح بحمده وحده ولا يعرف أحدا غيره (سبح لله ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم، له ملك السموات والأرض يحي ويميت وهو على كل شىء قدير هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم، هو الذى خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير، له ملك السموات والأرض وإليه ترجع الأمور. يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور)

منـاظرة

القس (ى.م) من علمـاء المسيحية الذين درسوا الاسلام دراسة غير بريئة لا يراد منها الوصول إلى الحق والبحث عن الأديان بحثا لا يراعى فيه الباحث أنه قبل كل شيء مسيحى،وإنما يراد منها تصيد كل مايشكك المسلم فى دينه من هنا وهناك ليرتد عن ذلك الدين الحنيف،ولو كانوا يدرسونه لتكوين رأى صحيح فيـه لسهل عليهم أمر تلك الشبهات قبل أن يتوجهوا بها إلى المسـلم فيقابلها بكل ازدراء واحتقار

ومحمد مختار ابن عين من أعيـان مصر وهو تلميذ بالمدارس الثانوية وقد درس فيها عقائد الاسلام دراسة مختصرة مفيدة،ونظر فى بعض كتب التوحيد الاسلامى وبعض كتب الفروع،وتأدب بآداب دينه الحسنة وتخلق بأخلاقه الجميلة فأحبه أبوه وجعله محل رعايته وعنايتـه وكان كل سنة يأخذه معه إلى الاسكندرية ليقضى معه

فيها فصل الصيف ويروح عن نفسه عناء الدرس طول السنة وقد بادر أبوه في صيف سنة ١٩٢٦ م إلى الاسكندرية وترك محمدا ليؤدي امتحانه ثم يلحقه اليها

فلما أدى امتحانه يمم وجهه شطر الاسكندرية وركب قطار الصباح الذي يقوم من القاهرة اليها فجاء جلوسه إلى جانب ذلك القس الذي قضى حياته في الجدال الديني وهو وكل إخوانه ـ والحق يقال ـ مخاصون لعملهم الذي نصبوا أنفسهم له؛ وهم يبشرون بدينهم في المدن والقرى والدور والشوارع وفي إقامتهم وسفرهم وحلهم وترحالهم. وإذا كانوا لا يصادفون بيننا النجاح الذي يطمعون فيه فلا يرجع ذلك إلى تقصير منهم: وإنما يرجع إلى قوة العقيدة الاسلامية، ولو كان الاسلام يجد مبشرين به مثل هؤلاء المبشرين في نشاطهم وتفننهم في طرق التبشير لما بقي على ظهر الأرض شخص غير مسلم. وقد انتشر الاسلام في ربع قرن بعد ظهوره حتى شمل معظم أنحاء الكرة المعمورة بدون وسائل منظمة مثل هذه الوسائل التي يلجأ اليها المبشرون المسيحيون: فما ظنك

الآن لو يجد مثل هذه الوسائل،ويتخذ للتبشير به مثل هذه الطرق ، ويصرف فيها تلك الأموال التي لا تحصى ولا تعد

فما إن جلس محمد بجانب ذلك القس الداهية حتى طمع فيه وغره زيه الفرنجي وظن فيه أنه لا يعرف شيئاً من دينه ،وقدر لنفسه سفرا سعيدا بجانب شاب صغير يجد المجال واسعاً للتأثير فيه وتشكيكه في دينه

فالتفت القس الى الفتى وقال له مرحباً بالأفندي

فقال له محمد مرحباً بك يامستر

فقال له القس : لست بمستر وإنما أنا القس (ى م) المبشر المسيحي بالديار المصرية ؛ وما اسمك أيها الأفندي؟

فقال له : اسمي محمد مختار

فقال له القس : إذاً أنت مسلم

فقال له محمد : نعم أنا مسلم

فقال له القس : يا محمد أتحفظ قرآنكم الذي أنزل على نبيكم ؟

فقال له محمد : أنا لم أسعد بحفظ قرآننا الكريم ولكني

أسمعه من قرائه فى دورنا وفى غير ذلك من الأماكن بحيث إذا سمعته أميز آياته وأعرفه فلا يخفى على أمره

فقال له القس : لقد مدحنا معشر النصارى والقسيسين فى آيات من قرآنكم فى سورة المائدة وهى هذه الآيات (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ، وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ، ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ، فأثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين)

فقال له محمد : اسمع أيها القس أنا أعرف ما ترمى اليه من سوق هذه الآيات ، ولعلك تريد أن تقول إن قرآنكم مدحنا فى هذه الآيات وذمنا فى آيات أخرى وهذا تناقض لا يصح ؟!

فقال له القس : نعم هذا الذى أقصده

فقال له محمد : إذا كنت تريد جدالى فى دينى فان الجدال بهذا الشكل لايفيد ، والواجب على من يريد أن يبحث فى دين ليعرف صحته أن يبحث فى أصوله الثابتة المتفق عليها فيه فاذا بحثها وعرف صحتها أوفسادها سهل عليه أمر ما عداها منه : فان كانت فاسدة لم يكن فى حاجة الى البحث فى فروعها لأنه لا يمكن أن تصح الفروع مع فساد الأصول، وإن كانت صحيحة أمكنه أن يبحث فروعها بعد ذلك وقد ذهب عنه تعصبه عليها، فاذا كانت عنده شبهة فيها (وكل أمر ولو كان صحيحاً لا يخلو من اشتباه العقول فيه ولا يضر فى صحته اشتباهها فيه)

أمكنه إزالتها بسهولة كهذه الشبهة التى عرضت لك فى هذه الآيات من سورة المائدة وتريد بها وبأمثالها من شبهكم هدم هذا الدين الكريم بدون أن تبحثوا فى أصوله وتعرفوا حقيقة أمره ،ولو بحثتم ذلك لاتقيتم الله فيه وعرفتم انه احق بنصركم وتأييده بدل طعنكم فيه وتفنيده وهذه الآيات لا تفيد إلا أن النصارى فى الاجمال

أقرب مودة للمسلمين من اليهود وهذا حق لا شك فيه لأن اليهود متعصبون لجنسهم تعصباً شديداً، ويعتقدون فى شعبهم أنه شعب الله المختار ، وينظرون الى غيرهم من الشعوب نظرة احتقار وقد عاشوا منفردين عن غيرهم من الشعوب ومضى عليهم مئات من السنين لا يدعون غيرهم الى دينهم : ويعتقدون أنه مفخرة لهم خاصة بهم، وأما القسيسون والرهبان الذين مدحوا فى هذه الآيات فهم رهبان وقسيسون أسلموا وآمنوا بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فمدحوا كما تنطق هذه الآيات على إسلامهم الجديد لا على نصرانيتهم القديمة

فقال له القس : إنك يا محمد تتكلم بعقل ولا يحملك تعصبك لدينك على الخروج عن حدود الانصاف، وأنت بهذا تخدمه أكثر ممن يتعصب له تعصباً يخرجه عن حدود الانصاف فيشتم ويتهور ويثور ويصول ويجعل الحجة عليه لا له.

فقال له محمد : إن قرآننا الكريم قد علمنا أدب الجدال مع المخالفين، وأمرنا ان نأخذ فيه المخالف بالحسنى ونعامله

باللين فقال تعالى فى سورة العنكبوت (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون) ولعلك أيها القس توافقنى على أن البحث فى أصول الأديان هو طريق الوصول الى الحق فيها ، وأن طريقتكم فى تلبس الشبه هنا وهناك وترك البحث فى هذه الاصول لا توصل الى حق ولا تهدى الى صواب ، بل هى طريقة مضللة لا يراد منها إلا وضع الأشواك فى طريق الوصول الى الحق وتعميته على الناس باثارة الشبه حوله؟!

فقال له القس : لا يسعنى يا محمد بعد هذا إلا موافقتك على ما تريد ، وإنى أراكم معشر المسلمين قد ضيعتم أكثر فروع دينكم وتركتم العمل بها فى أمور دنياكم ومع هذا تصرون على إسلامكم وتتعصبون له تعصباً عجيباً يدهشنا ويحيرنا وإنى أريد أن تبين لى بعد تركـكم تلك الفروع لماذا تصرون على اسلامكم ؟ ولماذا أنت مسلم ؟

فقال له محمد : نعم أيها القس سأبين لك لماذا انا مسلم

ولماذا نصر على إسلامنا بعد أن فرطنا فى كثير من فروع ديننا، وأبين لك قوة الأصول الاسلامية التى تجعل المسلمين يصرون على إسلامهم وإن ضيعوا من فروعه ما ضيعوا واهملوا منها ما أهملوا؟

وهنا كان القطار قد وصل الى مدينة الاسكندرية فاتفقا على أن يؤجلا البحث فى ذلك الى جلسة أخرى يعقدونها فى دار المبشرين بمدينة الاسكندرية، ثم نزلا من القطار وقصد كل واحد منهما الترام الذى يوصله الى مقصده بعد أن اتفقا على موعد تلك الجلسة ؛ وودع كل منهما صاحبه.

فقصد محمد أباه وقص عليه ما جرى له مع القس (ى.م) فى القطار فسر منه سرورا عظيما وحثه على المضى فى طريقه حتى ينال بذلك رضاء الله وثوابه العظيم فى الدنيا والآخرة.

لماذا انا مسلم؟

اجتمع محمد والقس (ى.م) بدار المبشرين بمدينة الاسكندرية للبحث فى أصول الاسلام التى انبنى عليها وجعلت له ذلك التأثير العجيب فى نفوس المسلمين حتى أعيا أمرهم أولئك المبشرين.

فقال محمد للقس : سألتنى أيها القس لماذا انا مسلم ؟ فالآن أبين لك أصول الاسلام التى تضمن له الخلود إلى ما شاء الله ولو أصاب المسلمين من الضعف أضعاف ما أصابهم فى هذه العصور فهم يعتزون فى ضعفهم بقوة دينهم، وانهم ان فاتهم شىء فى الدنيا فسينالهم أضعافه فى الآخرة

(١) فأول اصول الاسلام الاعتقاد بالله وحده وأنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . وهذه عقيدة يقف بها المسلم عزيز الجانب قوى الحجة مع الملحد الذى لا يقر بوجود إله، ومع الوثنى الذى يعبد الأصنام

والأوثان،ومع الكتابى الذى يقر بوجود ذلك الاله ولكنه تأثر فى ذلك ببعض العقائد الوثنية كما أثبته البحث الحديث،والموازنة بين اعتقاد الكتابيين فى ذلك واعتقاد الوثنيين.وقد نطق بذلك القرآن الكريم قبل أن يصل اليه البحث الحديث معجزة لذلك النبى الأمى الذى لم يدرس أديان البشر ولم ينظر فى علم موازنة الأديان فقال تعالى فى سورة التوبة (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون)

فاذا وقف المسلم مع الملحد الذى لا يقر بوجود الله تعالى أفحمه بهذا الكون العجيب وهذا النظام المحكم الذى لا يمكن ان يكون ناشئاً عن المصادفة العمياء كما يزعم ثم يفحمه بعد ذلك بأن اعتقاده بوجود إله ينفعه إن صح اعتقاده،ولا يضره إن لم يصح اعتقاده،ولكن الملحد إذا

لم يصح اعتقاده يكون قد عرض نفسه لغضب الله عليه وحرمانه من ثوابه ، لأنه لا يصح أن ينكره ويقف موقف المعادى له ثم يحظى مع ذلك بثوابه ، وينجو من عقابه والعاقل لا يخفى عليه أى الموقفين أسلم لصاحبه وأحمد عاقبة له.

ولكن النصرانى إذا وقف مع ذلك الملحد وحاول أن يقنعه بعقيدة التثليث وتأليه المسيح وهو من البشر وقد خرج مثلهم من الرحم، وعاش يأكل كما يأكلون ويشرب كما يشربون ، لم يمكنه أن يقنعه إلا بأن أمور الدين فوق متناول العقول، فيصول عليه بذلك ويجول وكيف لا يكون هذا أمره معه وقد ظهر له بمظهر العجز من أول أمره ، ولبس له ثوب الضعف والفرار من حكم العقل فى أهم شىء فى عقيدته؟!

وإذا وقف المسلم مع النصرانى الذى يقر بوجود ذلك الاله، ولكنه يؤله معه غيره ، ويقول عن المسيح إنه ابنه قال له تعال معى نتحاكم الى شرائع الله القديمة التى أنزلت على أنبيائه من لدن آدم أبى البشر الى عيسى ابن مريم

عليه السلام، والى التوراة التى لا تزال بأيدى اليهود والنصارى على اختلافنا معشر المسلمين فى أمرها، فليس فيها إلا عقيدة التوحيد الخالصة، وأما عقيدة التثليث فلا توجد إلا فى الأديان الوثنية التى حاربها أنبياء الله عليهم السلام (١)

والأديان السماوية الموجودة الآن ثلاثة أديان (اليهودية والنصرانية والاسلام) وديننا الحنيف لا يمنع عند الاختلاف في شيء يفيد فيه ـ الرجوع الى أهل الكتاب ـ من الرجوع اليهم فيه. قال تعالى فى سورة يونس عليه السلام (فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين)

ونحن معشر المسلمين نرضى أن نتحاكم معكم معشر النصارى إلى اليهود فى عقيدة التوحيد وهم أقدم منا ومنكم وأنتم تتفقون معهم فى معظم كتب العهد القديم من التوراة وغيرها من كتب ذلك العهد. ولا شك أن اليهود يتفقون معنا معشر المسلمين فى عقيدة التوحيد. وأما الذين قالوا

(١) وقد وفى ذلك كتاب العقائد الوثنية فى الديانة المسيحية للتنير. مصححه

منهم إن عزيراً ابن الله فهم طائفة قليلة لا يؤبه لها مثل طائفة الروافض فى المسلمين الذين يعتقدون فى على بن أبى طالب رضى الله عنه مثل اعتقاد تلك الطائفة فى عزير والنصارى فى المسيح، وكما لا يصح أن يؤخذ فى الاسلام إلا حكم جمهور المسلمين، فكذلك لا يصح ان يؤخذ فى اليهودية إلا حكم جمهور اليهود

فقال القس : إذاً يا محمد تكون عقيدتكم فى التوحيد مثل عقيدة اليهود فأى فضل لكم عليهم فى ذلك ؟ وأى معنى لدينكم مع دينهم إذا كنتم تتفقون فى ذلك معهم ؟

فقال له محمد : نحن إذا اتفقنا مع اليهود فى ذلك الأصل فانا نخالفهم فى أصول أخرى، ومن ذلك أنهم يكذبون بنبيكم عيسى عليه السلام ويعتقدون فيه اعتقادات شنيعة لا نقرهم عليها، وأنتم لا تحفظون لنا هذا الجميل وتجازوننا عليه بالاساءة والشر!!

(٢) والأصل الثانى من أصول الاسلام التصديق بجميع الأنبياء والرسل، وبجميع ما جاءوا به من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . والعالم

الآن يتنازعه ثلاثة أديان سماوية (الاسلام والمسيحية واليهودية) وموقف الاسلام مع صاحبي هذين الدينين موقف يجب أن يقدره له أصحاب الحكومات الحاضرة الذين يسعون الآن فيما سعى له الاسلام من قبلهم ، وهو الجمع بين أمم العالم فى عهد واحد يزول فيه بينهم الخصام وتبطل الحروب ، ويعيشون فى أمان وسلام ، والاسلام وحده هو الدين الذى يصلح لأن تجتمع عليه شعوب الأرض كلها : فهو يؤمن بموسى عليه السلام نبي اليهود ويؤمن بعيسى عليه السلام نبي النصارى ، فاذا دخل فيه اليهود والنصارى وجدوه يلتقى معهم فى هذا وذاك

أما اليهود فيدينون بتكذيب عيسى ومحمد عليهما السلام ، فلا يمكن أن يدخل النصارى والمسلمون مع ذلك فى ملتهم لبعد الفرق فى ذلك بينها وبينهم

وأما النصارى فيدينون بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم . فلا يمكن أن يدخل المسلمون مع ذلك فى دينهم

وقد غلت اليهود والنصارى فى عيسى عليه السلام فقال اليهود إنه ابن زنا . وقالت النصارى إنه ابن الله ، والحق

فيه وسط بين هذا وذاك وهو ماجاء به الاسلام فيه فهو عنده نبي كسائر الأنبياء وولادته من غير أب كخلق آدم عليه السلام من تراب (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) وسيرته الصالحة لم تكن سيرة كاذب وهى اكبر دليل على ما ادعاه من رسالته بقطع النظر عن معجزاته ، وكما أن خلق آدم من غير أب لم يخرجه عن البشرية؛ فكذلك عيسى مثله لا يخرجه عن البشرية خلقه من غير أب . وقد قرأت فى بعض نشرات المبشرين أن بنوة المسيح لله بنوة محبة وهذا لا ينازع فيه الاسلام . ولا ينكر أن يكون المسيح ابن الله بمعنى أنه حبيبه ، وقد جاء فى القرآن ألفاظ مثل ذلك أولها المسلمون بسهولة على ما يتفق فى العقل مع كمال الله تعالى فاذا وافق النصارى على ذلك التأويل فى بنوة المسيح دخلت المسألة فى طور آخر . وأمكن الاتفاق فيها بيننا وبينهم

فقال القس : هل إذا قلنا بذلك التأويل فى بنوة المسيح لله وأنها بنوة محبة تدخلون معنا يا محمد فى النصرانية ؟

فقال له محمد : بل يجب عليكم أيها القس إذا قلتم بذلك أن تدخلوا فى الاسلام لأنه رجوع منكم الى ما جاء به فيه قبل أن تصيروا الى هذا التأويل، وإنه إذا كان المسيح ليس إلا حبيب الله؛ فهو مثل إبراهيم خليل الله ، وموسى كليم الله ،وتبطل بذلك عقيدة التثليث (الأب والابن وروح القدس) إذ لا يكون هناك أب ولا ابن فى الحقيقة وعقيدة التثليث هى أهم عقائد النصرانية

وأما رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فهى مثل رسالة موسى وعيسى عليهما السلام؛ ويكفى فيها بقطع النظر عن معجزاته سيرته الصالحة التى لا تتفق مع الكذب فى دعوى الرسالة والنبوة ، وإذا أنصف اليهود والنصارى آمنوا به كما يؤمن المسلمون بموسى نبى اليهود، وبعيسى نبى النصارى؛ ولو فعلوا ذلك لتغير فى لحظة واحدة شكل هذا العالم. وأصبح الناس فيه إخوانا يسود بينهم السلام والوئام وتبطل بينهم أسباب الخصام

فقال القس : قد نفعل ذلك يا محمد فى بنوة المسيح ولكنكم تنكرون صلبه وهو أمر قد ثبت عندنا بالتواتر

وجاء فى كتب المؤرخين القريبين من عصره ، وعقيدة الصلب عندنا من أهم عقائد النصرانية

فقال له محمد : إنكم تجعلون صلب المسيح عقيدة دينية وتقولون إنه قدم نفسه للصلب ليفدى البشر من خطيئة أبيهم آدم عليه السلام، وما حصل من آدم عليه السلام لا يستحق كل هذا، وأى علاقة بين صلب المسيح ورفع تلك الخطيئة ؟ فعقيدة الصلب غير مفهومة أيضا مثل عقيدة التثليث ، والاسلام لا ينكر أن صلبا وقع حتى يناقض بذلك ما ثبت عندكم بالتواتر ، وما جاء فى كتب المؤرخين الأقدمين، وإنما يقول إن الذى صلب شخص غير المسيح ألقى عليه شبهه فصلب بدله ، ولا يظن الذين صلبوه إلا أنهم صلبوا المسيح عليه السلام . وقد تم ذلك بمعجزة إلهية من تلك المعجزات التى لا تنكرونها وقد قال نبينا محمد ذلك وهو من رسل الله الذين يعرفون هذه الأمور، وليس لى ولا لغيرى أن يجادل فيه أو يقول إن ذلك لم يقع ، فان الله هو الذى ألقى ذلك الشبه بدون أن يطلع أحداً عليه حتى يتأتى له أن يقول إنه وقع أو لم يقع : وليس

صلب المسيح إلا مسألة تاريخية من مسائل التاريخ، ونحن إذا قلنا إن صلباً وقع على شخص ألقى عليه شبه المسيح بحيث ظن الذين صلبوه أنهم صلبوا المسيح قبل التاريخ ذلك من غير غضاضة ، ولا يهمه إلا ثبوت حادثة الصلب سواء أكانت على شخص المسيح أم على شخص آخر يشبهه.

(٣) الأصل الثالث من أصول الاسلام تجويزه النسخ فى الشرائع السماوية لأن كل شريعة منها عنده جاءت مناسبة لعصرها، وهذا النسخ الذى يعيبه عليه اليهود والنصارى هو سر حسنه ومرونته وملاءمته لكل زمان ومكان، وجمود اليهودية والنصرانية؛ لأنه يجعل لأحوال الزمان والمكان حكمها فى تشريعه وقد أمكنه بهذا أن يشرع من الأحكام العلمية أحكاما عامة صالحة لكل الشعوب؛ وملائمة لسائر الأزمان والأحوال. وكانت اليهودية قد شرعت لبنى إسرائيل احكاما خاصة بهم؛ وتراعى فيها قبل كل شىء مصلحتهم، وجاءت المسيحية فعنيت بالأمور الروحية أكثر من عنايتها بالأحكام العملية، ثم قفل اليهود والنصارى باب التشريع ومنعوا النسخ والتغيير

فى الأحكام، فضاق بذلك النـاس وأصبحوا فى أزمان وأحوال جديدة أصبحت فيها تلك الأحكام إصرا وأغلالا عليهم، فأنعم الله عليهم بدين الاسلام الذى أبدلهم من عسرهم يسرا، وشرع لهم أحكاما سهلة ملائمة لهم وصالحة لكل مكان وزمان يتجدد عليهم ، والى ذلك يشير قوله تعالى فى سورة الأعراف (الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون)

ومن العجيب ان الذين يضيقون بهذا الجمود الدينى وتلك الأغلال التى كانت عليهم، لم يقدروا نعمة الاسلام بذلك عليهم قدرها، بل أخذوا يشاغبون فى النسخ وجوازه على الله تعالى وإذا امتحن الله عبداً عكس بصيرته، وقلب عليه أمره

يقضي على المرء في أيام محنته
حتى يرى حسناما ليس بالحسن

(٤) الاصل الرابع من أصول الاسلام أنه يسلك في تشريعه طريقاً وسطا جعل أمته أمةوسطاً بين الامم (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) وهذا كان أيضاً من أسباب ملاءمة هذا التشريع لكل الناس وجميع الازمان فراعى في احكامه مطالب الروح والجسد والدنيا والآخرة ولم يغلب شيئاً من ذلك على الآخر ليفوز المسلم بسعاده الدارين، ويحظى بنعيم الدنيا والآخرة وراعى أيضاً فيما وضعه لتهذيب النفوس اعتدال القوى الفكرية والشهوية والغضبية، ووافق بذلك أصول الحكمة العملية فالاعتدال مطلوب عنده في كل شيء حتى فيما سنه من التعبد والتفريط والافراط مذموم عنده في كل شيء حتى في التعبد أيضاً وقد أباح للمسلم أن يأخذ لنفسه حظها من الشهوة التي فطرت عليها بشرط ألا يسرف فيها (يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه

لا يحب المسرفين · قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) وكما أباح ذلك للمسلم أباح له أيضاً الزهد فى الدنيا وشهواتها بشرط ألا يسرف فيه أيضاً ويجعله رهبانية مسيحية، لان الرهبانية لا تلائم فطرة الانسان ولا يتم معها نظام العمران

وقد أباح للمسلم جمع المال وأن يحرص عليه حرصا لا يؤدى به الى البخل، ولا يبلغ حرص اليهود على جمع المال حتى أحلوا فيه الربا من غيرهم، وكما أباح له ذلك سن له فيه الانفاق فى طرق الخير وجعل للفقير فيه حق الزكاة وحرم عليه الغلو فى انفاقه ، وذم التبذير فيه ؛ ومدح الاعتدال فى ذلك (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا)

وقد سلك الاسلام طريقا وسطا فيما شرعه للمرأة فأنصفها ولم يجحف بها ولم يميز عليها الرجل إلا فيما لا بد من تمييزه فيه وقد حرمتها شريعة اليهود من ميراث

أبيها فأعطاها الاسلام نصف الرجل، ولم يسو بينها وبينه في ذلك كما ترى بعض الشرائع الوضعية، لان مطالب الرجل أكثر من مطالبها، ولان المورثين وهم أصحاب الحق فى الميراث يميلون الى تفضيل الذكور على الاناث. وكان يصل بهم هذا الميل الى حرمان الاناث منه، ولم يصل بهم فى القديم والحديث الى حرمان الذكور منه

فقال القس: كيف تقول إن الاسلام أنصف المرأة وقد جاء بتعدد الزوجات ليضار المرأة به؟ وجاء بالطلاق وجعله من حق الرجل ليضارها به أيضا؟!

فقال له محمد: إن الاسلام أيها القس لم يأت بتعدد الزوجات ليضار المرأة به، بل أتى به لان الحاجة قد تدعو اليه وهو دين عام شرعه الله تعالى ليصلح لكل زمان ومكان، ويكون فيه من المرونة مالا يضيق به معها احد فى أمة من الامم، وفى أى زمن من الأزمان، وهذه المرونة الاسلامية التى امتاز بها الاسلام تقتضى فى تعدد الزوجات أن يعطى حكم الاباحة من بين سائر الاحكام وهو حكم مرن يقبل سائر الاحكام الأخرى حتى حكم

الحرمة، فتعددالزوجات فى أصله مباح ولكنه قد يكون حراما إذا قصد به مضارة الزوجة،أولم يستعمل فى الحدود التى حدها الله له،والاسلام لم يجهل خطر تعدد الزوجات ولهذا مع إباحته له للحاجة اليه حاطه بقيود شديدة ،وحد له حدودا دقيقة،ولو كان الاسلام قدندب الناس الى تعدد الزوجات أو أوجبه عليهم ، لكان هنـاك محل للتشنيع عليه بذلك . ولكنه لم يعط إلا حكم الاباحة ليتصرف كل مسلم فيه بما تقتضيه مصلحته ولا يرى فى دينه ضيقا من ذلك إذا دعته الحاجة اليه ؛ وما أكثر ما تدعو الحاجات الى ذلك،ومع هذافقدفضل الاسلام الاقتصار على زوج واحدة عند إباحته تعدد الزوجات فقال تعالى فى سورة النساء (وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ماملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا)

وكذلك الطلاق لم يندب اليه الاسلام ولم يشرعه ليضار به الزوجة ؛ وإنما شرعه لان الحاجة قد تدعو اليه

وتسوء العشرة بين الزوجين بحيث يكون من مصلحتها أن يفرق بينهما ؛ وقد اعطاه أيضا من أحكامه ذلك الحكم المرن (الاباحة) ليتصرف فيه بالمصلحة ولا يجاوز به قدر الحاجة وقد اضطر المسيحيون فى هذا العصر الى الأخذ باباحة الطلاق مع تحريم شريعتهم له ، وتغالوا فى استعماله حتى زادوا على المسلمين فيه . والانسان اذا كان محروما من شيء يحتاج اليه ثم حل له أخذه بشراهة وأفرط فى استعماله وهكذا قام الدليل على أن الاسلام هو الدين العام ؛ وان كل الشعوب لا غنى لها عن أحكامه حتى الشعوب المخالفة له ؛ ومع أن الاسلام أباح الطلاق لم يجهل خطره ، ولم ينتظر حتى ينبهه المخالفون له ، بل عرف خطره وجعله من أبغض الحلال عنده . وقيده بقيود شديدة تزيل ضرره ، ولا تجعل لاحد محلا للطعن فيه .

ثم قال محمد : وقد راعى الاسلام فى تشريعه كل الشعوب . ولم يفرق فى تشريعه بين شعب وشعب ، وجعل كل الشعوب والافراد سواء عنده ، وقد قال تعالى فى ذلك (ياايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم

شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) فأزال بذلك سلطة الرؤساء الدينيين ، ولم يجعل منهم واسطة بينه وبين خلقه يتصرفون فيهم كيف شاءوا ، ويقولون إن ما نربطه فى الارض يربطه الله فى السماء وأنتم معشر البروتستانت الذين خرجتم على سلطة أولئك الرؤساء لم تصيروا الى ذلك الا بعد أن نبهكم الاسلام اليه ، وما إصلاحكم فى المسيحية إلا أثر من آثاره فيكم ، ومع ذلك فأنتم معشر البروتستانت أشد الطوائف المسيحية محاربة له ، وكان الواجب عليكم أن تكونوا أخف عليه من غيركم .

فقال القس : كيف يصح ذلك يا محمد فى دينكم وقد شرع الرق فى البشر ، وجعل الناس منهم الاحرار والعبيد ، فكيف يكون الكل سواء عنده ؟

فقال له محمد : لعلك تزعم أيها القس أنكم أبطلتم الرق البشرى وتفخرون بذلك علينا ؟

فقال له القس : وكيف تنكر ذلك وقد جاهدنا فى ذلك جهادنا المحمود حتى قضينا على الرق فى بلادنا وبلادكم ؟

فقال له محمد : أيها القس إن الرق لا يبطل إلا إذا بطلت الحروب ، وما دام هنـاك حرب فهناك أسر ، والأسر هو الرق ، والأسير لا يملك نفسه عنـد آسره ، وهو عنـده مسلوب الحرية فاقد الارادة ، وإذا لم تتم الحرب بصلح بين الفريقين المتحاربين تطلق فيه الأسرى وترد اليهم حريتهم : عاشوا عند أعدائهم أرقاء وماتوا أرقاء .

والرق فى الاسلام ضرورة من ضرورات الحرب والأرقاء عنده هم أسرى الحروب : فاذا عاشوا بين المسلمين وهم فى الأصل من أعدائهم — فلابد من وضعهم فى رقابة المسلمين حتى لا يتمكنوا من إحداث شيء بين المسلمين أو يتجسسون عليهم لأقوامهم إذا تركوا أحرارا بينهم ؛ فاذا مضت عليهم فى تلك الرقابة مدة أمن بعـدها أمرهم ، فقـد ندب الاسلام إلى إطلاقهم وإزالة الرق عنهم ؛ ورغب فى ذلك بما لم يرغب فيه دين من الأديان التى جاءت قبله . ويمكننا أن نقول إن الاسلام ينظر إلى الرق كشيء غير مرغوب فيه ؛ وشأنه فى ذلك شأن الطلاق ونحوه مما كان للضرورة حكمها فى تحليله .

ثم إن الرق فى الاسلام إسمى فى الحقيقة ؛ والأرقاء فيه إخوان الأحرار ؛ ولا يمتاز الأحرار إلا فى أمور لا تذكر ولا يؤبه لها فهم فى نظر الاسلام فى منزلة واحدة وقد يكون الرقيق عنده — بعمله — خيرا من الحر وأعلا منه منزلة ، وقد وصل الارقاء فى الاسلام إلى ما لم يصل اليه الأرقاء عند غير المسلمين ؛ وكان منهم القواد العظماء . والوزراء الكبراء ؛ والولاة والملوك . وقد جاء فى بعض الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم « اسمعوا وأطيعوا ولو أمر عليكم عبد حبشي أجدع »

ثم قال محمد : فهذه أيها القس أصول الاسلام ألخصها لك بعد أن أطلت فيها عليك (١) الاعتقاد بالله وحده توحيدا خالصاً ليس فيه شائبة من الشرك (٢) التصديق بجميع الأنبياء وأن مادعوا اليه كان حقا إلى أن طال عليهم الأمد فانحرف أتباعهم عن دياناتهم واتخذوا أحبارهم ورهبانهم كأرباب لهم ينقادون لهم انقيادا أعمى ؛ ويقدسون كل ما يأتون به ولو كان مخالفا لأصول دينهم (٣) تجويز النسخ على الشرائع السماوية لفتح باب التشريع

السماوى من جديد ؛ والقضاء على جمود أهل الشرائع القديمة ، ووضع شرع سماوى عام ملائم لجميع الشعوب والأزمان والأحوال ليجتمع فيه كل الشعوب ؛ ويسود بينهم السلام . وتبطل الحروب (٤) بناء ذلك التشريع على الاعتدال فى وضع الأحكام ؛ وتهذيب النفوس ، وسلوك طريق وسط بين الافراط والتفـــريط ؛ والتشديد والتساهل .

وقد جاء بذلك عبـد صالح عاش عيشة الأنبياء ؛ ومات ميتة الأنبياء ؛ وأيده الله بكتاب كريم تحدى به قومه فأعجزهم . وبلغ النهاية فى بلاغة الأسلوب وقوة الاقناع . ولو أن الأحجار تسمع لقول ذلك الـكتاب (قل يأهل الـكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) لأجابت دعوته . وخرت ساجدة لقوة إقنـاعه . وذلك العبد الصالح هو محمد صلى الله عليه وسلم الذى لم يبغ من وراء ذلك كله سوى تصديق رسالته ؛ ولم يطلب منه

ملكا لنفسه ، ولا مالا ولا غيره .

فقال القس : يامحمد قد بلغت منى ما بلغت ، وليتنى لم أجتمع بك ولم أفتح باب الجدال معك ، فسأعيش بعد ذلك مشتت اللب ، حائر الفكر ، وأنا من كبار هؤلاء المبشرين بدياركم ولى منزلة كبيرة بينهم ، ونحن فى الحقيقة لا نشتغل هنا للدين كما نظهر به ، وإنما نشتغل لأمور أخرى تخفى عليكم ولو كنا نشتغل للدين والوصول إلى الحق لسهل الوصول اليه بيننا ، ويكفيك ذلك منى واذهب يابنى الى أبيك بسلام ، ودعنا نعمل للغايات التى نعمل لها

فتركه محمد الى أبيه وقص عليه ماجرى له مع القس فعجب لايثار هؤلاء الناس مصالحهم الدنيوية على مصالحهم الأخروية ، ولعن تلك الغايات التى تحجب بين المرء والاذعان للحق بعد الاهتداء اليه . وصدق الله العظيم (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) تم

ابتدىء فى هذا عصر يوم الأربعاء ٢ جمادى الأولى سنة ١٣٥٢ هـ

وانتهى منه عصر يوم الجمعة ٤ جمادى الأولى سنة ١٣٥٢ هـ